البطولة في الأدب الجزائري

بقلم ابو القاسم سعد الله

تمهيد :

هل صحيح ان الاستعمار والحرب والظروف تقتل الادب والادباء ؟ وهل يصح ـ بناء على ذلك ان ندعي بان الجزائر ـ البلد العربي العريق ـ خالية من الادب ومن الادباء لانها عانت وما زالت تعاني من الاستعمار والحرب والظروف ؟ لقد اعترف غير واحد بذلك في مناسبات شتى اهمها المناسبات الثقافية والادبية . فكلما وقف جزائري في مؤتمر جامع او ندوة عامة او حتى في مناسبة شخصية، تأوه وتأسف وصب اللعنات على الاستعمار والحرب والظروف .. تلك التي انتزعت ـ في نظره ـ مواهب الجزائريين وغسلتها في البحر المالح فعاقتها بذلك عن الاخصاب والازدهار .

والحقيقة ان هذه الاعذار لم تعد تخفى على الواعين المؤمنين برسالتهم الوطنية والادبية من الجزائريين انفسهم . كما انها من غير شك لم تخف على القراء والسامعين من العرب وغير العرب في كل مناسبة قيل فيها مثل ذلك الكلام ، وصيغ فيها ذلك الاعتذار البارد .. غاية الامر ، وبكل بساطة ، ان ما يقال عن الادب والادباء في الجزائر الان هو حقنة مسكنة تشفع لالمها تلك السمعة الهائلة لبطولة الجزائر في حرب التحرير ومقاومتها الخارقة .. ان هذه السمعة وهذه البطولة هي التي تسحر القراء والسامعين وتنسيهم ما هم فيه من الحديث عن الادب والادباء. ولكنهم عندما يعودون الى رشدهم وتبرز امامهم علامة الاستفهام من جديد يتوارى اولئك المتاون عن الانظار في براعة فائقة .

انا شخصيا ارى ان الاستعمار لا يقتل الادب ولكن يلونه بالوان مختلفة فيخلق مثلا ادب الرمز والادب المنحرف او الشاذ ويخلق الصراع بين الادب المتحرر والرجعي.. كذلك ارى ان الظروف لا تقتل الادب ولكن تكيفه فتجعل منه الادب الذاتي او الموضوعي والادب الهادف او التعبيري والادب النموذجي المثالي او الحيادي الواقعي .. كما ارى ان الحرب كفيلة بتوسيع مجالات الادب او تضييقها . انها هي التي تعطي للاديب فرص الانطلاق وتحطيم المفاهيم السائدة وتسلحه بطاقات جديدة لا يظفر بها اثناء الركود وسيادة العادات والتقاليد الرجعية .

وان الزمن خير شاهد على ما نزعم فالمدارس الادبية من رومانسية وواقعية ورمزية والتيارات الاجتماعية من ارستقراطية وبرجوازية واشتراكية .. كل هذه مدينة في تلوينها واخراجها وقوة دفعها وتكيفها . الى تلك العوامل التي اتينا بها وهي الاستعمار والحرب والظروف ..

ولا نحب الان ان نسترسل في التمثيل والتاريخ .. وحسبنا ان نقول .. ان طاغور وماركس ورسو وادباء الهجر وشكسبير ومحمد العيد وابن باديس وغيرهم خير الامثلة على تدخل تلك العوامل في تكييف المبادىء من ناحية والاشخاص من ناحية اخرى .. وعلى هذا الاساس قام الادب الجزائري المعاصر . لقد لونه الاستعمار بلون خاص وطبعته الحرب بطابع مميز وصبغته الظروف بصبغة معينة .

وبذلك يتضح ان ما يزعمه بعضهم من موت الادب وانقطاع الادباء الجزائريين غير صحيح وان الاولى لنا ان نفهم ذلك الزعم على انه عجز عن هضم الواقع واستحضار التاريخ وتمثل الاسباب الحقيقية لفهم حركة الادب في الجزائر .

ومن الخير لنا ان ندرس الادب الجزائري ليتبين صدق ما نقول ولنبدأ اليوم بزاوية واحدة من زواياه المختلفة وهي زاوية البطولة لنرى كيف عالجها ومدى تعبيره عنها ومدى اختفاء ادباء الجزائر بهذا اللون الرائع من الوان التعبير شعر ونثرا .

١ ـ في الرواية

ان النثر اشد التصاقا بالارض من الشعر وقد تجلت هذه الحقيقة في النثر الجزائري بعامة ، والرواية بخاصة .. فقد ساعدت ظروف الجزائر بعد الحرب العالمية الاولى على سيادة المذهب الواقعي ووجد فيه الكتاب على اختلاف ميولهم وثقافتهم مجالا للتعبير عن واقع البلاد بما فيه من متناقضات وما يعيشه من عزلة وحرمان وما يكثر فيه من دعاوى الحرية والوطنية والديمقراطية والرخاء في الوقت الذي يعيش في قيود ثقيلة وشقاء مزمن . غير ان هذه الواقعية لم تسد بما تحمله من تشاؤم ونظرات سوداء وما قد تزرعه من بذور الحقد والطبقية بل سادت الواقعية في الادب الجزائري ـ الا قليلا ـ لما فيها من وصف مادي للحياة الاجتماعية المخيفة التي يحياها عشرة ملايين من السكان ولما فيها من امكانيات التعبير الصريح عن تلك الحياة واهلها .. ولذلك لم يعالج النثر الجزائري في تلك الفترة الا الموضوعات المادية الصميمة او الحيوية الصارخة كالفقر والتعليم والحرية والهجرة .. تلك التي عانى منها الشعب كثيرا في ظل الاحتلال .

ومن هنا لا نعجب حين نرى ونسمع اولئك الابطال الذين يعالج الكتاب من خلالهم تلك المشكلات يصورون الحياة الاجتماعية بجميع ما فيها ببؤسها وحاجتها وشعورها بالمرارة وثورتها على الظلم والعسف .. انهم ابطال واقعيون يعيشون في مستوى الشعب المادي وقلما يشاركونه حياته الروحية .. انهم يشعرون ويعملون كما يعمل .. ليسوا خياليين مثاليين كما انهم ليسوا انهزاميين رجعيين . انهم افراد تتمثل فيهم طبائع البيئة بخيرها وشرها بحقدها وتعاونها بفشلها وانتصارها بارتباطها

بالماضي وتطلعها الى المستقبل .. هذا هو البطل كما فهمته الرواية الجزائرية .. شخص عادي يركز الكاتب فيهوعليه كل مشاعر المواطن.. ليس له مؤهلات خاصة ولا استعدادات فطرية او طارئة لا توجد في سواه .

فهذا عمر بطل محمد ديب في روايته الكبيرة الرائعة « البيت الكبير » « الحريق » «المنسج » تعرفه منذ كان طفلا يعيش مع امه في منزل قديم عفن في مدينة تلمسان الى ان يصبح رجلا عاملا في مصنع للنسيج ينتظر مصيره تماما كما ينتظره الالاف من مواطنيه وهو المصير الذي تحدد بقيام ثورة ١٩٥٤ وعمر في تنقله من مرحلة البيت الى المدرسة ثم الريف ثم المصنع او فلنقل من تنقله من مرحلة الطفولة الى مرحلة النضج لم يسر في غير الطريق التي رسمها له المؤلف وهي طريق ليست غريبة على الذين عاشوا او شاهدوا تلك البيئة اذ ليس في الجزائر مهنة او وظيفة محددة يعد لها الفرد ليشغلها يوما ما فلم يبق الا انيكون مستعدا للصراع مع الحياة في جميع اشكالها . والبطل عمر في طفولته صورة لالاف الاطفال الجزائريين في تشردهم وضياعهم وهو في شبابه صور اخرى لالاف العمال الذين يثورون ويشكون ويبأسون ويتضرعون لانواع شتى من المذلة والهوان وفيهم من يعيش بلا مستقبل في تخاذل ويأس ومن يتطلع الى غد كريم في ثورة وعنف وفي ثقة وايمان.. وهكذا .

كذلك نجد بطل رواية (العتاريس) لادريس الشرايبي ينزل الى نفس المستوى الذي يعيشه مواطنوه في باريس .. اولئك الذين يحيون رواسب نفسية ومادية وخلقية اعتنقوها منذ كانوا في الجزائر ونقلوها معهم او نقلت اليهم في فرنسا . ان البطل في هذه الرواية اديب فنان له احساس خاص ومن حقه ان يحيا حياة ارقى من تلك التي انغمس فيها ابناء وطنه ورسبوا فيها الى القاع ومع ذلك تأبى عليه انسانيته الا ان ينغمس في نفس الحياة ويغوص الى نفس القاع انه يواكلهم ويجادلهم ويحترف اعمالهم بل ينزل الى تفكيرهم .. وهكذا لم يبق من فارق بين البطل وبين سائرالمواطنين حتى في الاحساس الخاص الذي حاول الشرايبي ان ينقله الينا على السنة وفي اعمال تلك العتاريس الادمية .

ومثل ذلك يقال في عامر بطل (الارض والدم) رواية مولود فرعون ، وابطال كاتب ياسين في روايته (نجمه) .

وهناك رواية اخرى صغيرة نحب ان نقف عندها قليلا تلك هي رواية (غادة ام القرى) لاحمد رضا حوحو « ١٩٤٧ » وبطلتها «زكية» فتاة حرمت لذة العلم وممارسة حقوقها الطبيعية كانسانة من ناحية وامرأة من ناحية اخرى وفي هذه الرواية الصغيرة يعالج الكاتب مشكلة الحجاب تلك المشكلة التي شغلت الاذهان والاقلام زمنا طويلا والتي ما يزال مجتمعنا يعاني منها حتى الان . وبالرغم من ان حوحو قد كتبها عن اسرةتعرف عليها فيالحجاز الا انهموذجها وفكرتها في الجزائر ولا فرق بين البيئتين في هذه الناحية في ذلك الحين . ولعل حوحو لم يستطع ان يخرجها على الناس باسم اسرة جزائرية خوفا من سلطة المجتمع التي كان لها الحكم الاول والاخير اثناء تلك الفترة ولذلك اكتفى باهدائها الى « تلك التي تعيش محرومة من نعمة الحب والعلم والحرية ... الى تلك المخلوقة البائسة المهملة في هذا الوجود .. الى المرأة الجزائرية تعزية وسلوى » . ومع هذا الهروب من المجتمع فلم تسلم الرواية ولا الكاتب من بعض السهام والغمزات والبطلة ـ زكية في هذه الرواية تمثل جمهرة الفتيات الجزائريات اللائي يقاسين من عذاب المنزل او السجن ما قد يؤدي بحياتهن كما اودى بحياة زكية وهي التي سيظهرها الكاتب في شخصية عائشة اقصوصته في (نماذج بشرية) مع فارق بسيط .

ان البطل في الرواية الجزائرية كما راينا ليس مثلا اعلى ولا نموذجا خارقا تتجسد فيه فكرة او مبدأ عام وانما هو بطل واقعي فيه كل ما في الواقع من مأساة وحرارة وصراحة سواء كان هذا البطل صغيرا او كبيرا رجلا او امرأة يمثل عاملا في مصنع او امرأة بين اربعة جدران .

٢ ـ في القصة

اما في القصة القصيرة او الاقصوصة فقد تطور البطل فيها شيئا فشيئا الى ان صار ممثلا لفكرة وطنية او فكرة مضادة (الخيانة) وهذا في الحقيقة يعود الى تطور المفهوم السياسي في الجزائر فمنذ الحرب الثانية دخل هذا المفهوم في مرحلة جديدة ايجابية تقتضيه العمل على التخلص من الاحتلال وقد تجمعت كل التيارات حول هذا المفهوم حتى تلك التيارات التي كانت يوما ما مضادة او مترددة او غير مؤمنة بمستقبل سياسي للجزائر فقد خاب امل الجزائريين الوطنيين في الحلفاء وساء الظن بالاجنبي حيث كان وظهر شعور بالكراهية في تلك الحملات الشعبية التي بدات بمظاهرة ٨ مايو ٤٥ واستمرت في الصحف والندوات والاجتماعات متطورة نحو العنف متجددة دائما بمفعول جديد الى مطلع نوفمبر ١٩٥٤ .

وابطال هذه الفترة يمثلونها اصدق تمثيل ويعكسون مشاعر الجمهور الوطني في خدمة وقوة سواء كانوا في الجزائر او خارجها فهؤلاء ابطال احمد عاشور وعلى الخصوص ابطال : يوم الجلاء وزواج عصري والرجلان والدب الابيض والاندماج وزوجة اوروبية . ففي اقصوصة يوم الجلاء(١) مثلا يتلاقى البطل ـ وهو مواطن جزائري مع كاتبة مسرحية فرنسية واخيها الرجل الصحفي المؤمن بالاشتراكية الى ابعد الحدود ويبدا الحوار بان تسال السيدة البطل عندما ترى العلم الفرنسي يرتفع مكان العلم الالماني ـ لماذا لا يبدو عليك الفرح مثلنا ؟ ـ لقد كان ذلك ممكنا لو آن علمنا هو الذي يرتفع مكان علمكم في الجزائر ـ(مندهشة) هل تمثل او تتهكم؟ وهنا يتدخل اخوها الاشتراكي فيقول ـ ان كنت تعلمين ان هذا السيد جزائري فهو يقول الجد ولا يتهكم . ـ فتجيب هي ـ ولكنه فرنسي على كل حال ـ ان هذه الحرب الاخيرة قد انتهت بثورة الشعوب المستضعفة في العالم في حماس رهيب . فتعقب هي ـ ان تحققت هذه الفكرة فالتاريخ سيعيد نفسه في الشمال الافريقي بنشاط عظيم .. ويومئذ .. فيكمل البطل ـ ويومئذ يصير الشعب غير معطل عن استعمال مواهبه ـ حبذا لو كان هذا فقط .. وفي هذه اللحظة يدوي صوت الرصاص فتحتمي السيدة بالبطل فيقول لها : هذا ما تريدون منا ، الحماية . فتسكت هي ولكن اخاها يبتسم .

ان هذه الروح الجديدة التي تتجسم في هذا البطل هي التي سادت قصص هذه الفترة تبعا لسيادة نفس الروح في الالوان الادبية الاخرى كالمقالة مثلا وهي التي سادت انتاج احمد حوحو وشريف الحسيني وزهور ونيس غير ان السيدة زهور قد اعتنت بالجانب النسائي في هذه الناحية اذ أن اغلب ابطالها من النساء وقد اعطت عن المرأة الجزائرية صورة صادقة في تأخرها وقسوة المجتمع عليها وتطلعها الى حياة افضل واكرم حين يتاح لها حظ من الثقافة .. وهي كذلك ترسم خطوطا كبيرة لمجتمع ذلك العهد لاننا نجد صراعا بينواقع نعانيه وبين امل يراودنا ونحاول الوصول اليه لا لكونه املا سياسيا فقط بل لكونه املا حيانيا فيه نهوض اجتماعي وتحرر سياسي واندفاع ثقافي واقتصادي . ويتلاقى مع السيدة

(١) جلاء الالمان عن باريس اثر الحرب الثانية .

زهور في هذه المحاولة وهذا التخطيط للمجتمع خوخو في قصتيه : عائشة وصاحبة الوحي وعاشور في قصتيه : عانس تشكو وصالح وخطيبته والحسيني في قصته سوزان .

اما البطل الذي يمثل الفكرة المضادة كما تصوره القصة الجزائرية فحسبنا ان نشير الى : الامام المزوز والمعلم الساحر ودرس في التوحيد لاحمد عاشور وسي زعرور وسيدي الحاج والشيخ زروق لرضا حوحو وكذلك بعض انتاج عبد المجيد الشافعي الاخير.

ففي هذه الاقاصيص يقوم البطل بادوار غريبة فيقدم على الخيانة احيانا والشعوذة وبيع الضمير احيانا اخرى واستغلال البسطاء والجهال من الشعب احيانا ثالثة .. وهكذا .. ان البطل هنا تافه ليس له رصيد من شجاعة او ضمير او تسام . وكل ما يريد ، هو الحصول على لقب او كرسي او مال اووسام او حتى وظيفة حقيرة .. انه هنا مثال البطل الارضي الذي يهمه فقط اشباع غرائزه الدنيا بما فيها من انانية وجبن وبشاعة ولو ادى به ذلك الى التضحية بوطنه او مبدئه او دينه ومقدساته.

والقصاصون الجزائريون يهدفون من وراء هذه الصور البشعة التي لفت المجتمع لامثال : هؤلاء المعوقين فيتخلص منهم ويقضي على وجودهم بالثقافة السياسية والاخلاق العالية والوعي الاجتماعي.. وهكذا نجد البطل حتى في صورته الدنيا واعماله الاخلاقية يحاول ان يدفع بالوعي القومي خطوات في طريق التحرر من الماضي ومن الفرقة والجهل والتواكل والياس .. تلك الامراض التي كادت تودي بكيان المجتمع الجزائري بتشجيع الاستعمار والمؤمنين به كل ذلك يؤديه البطل بطريق الضدية والتصوير بالكلام والاعمال الصارخة .

٣ ــ في المسرحية

يقول نقاد المسرح الواقعي : ان النثر قد جنى على المسرحية وصيرها تافهة في نظر الزمن لا تكاد تشاهد حتى تنسى ويذهب ما فيها من معالم وما تسوقه من اهداف ويقولون : ان لغة الشعر انسب واجل قدرا واكثر قابلية للخلود لما تحمله من عناصر باقية تتجدد طرافتها ودهشتها كلما اعيد تمثيلها وقد يكون هؤلاء النقاد من امثال (سومرست موم) و (فرنسوا موریاك) متشائمين بمستقبل المسرحية النثرية وقد تكون تجربتهم مع المسرح والقراء اثبتت لهم صدق ما يدعون . ولكن الذي لا شك فيه ان هناك مستوى لغويا وضمنيا يجب ان تحافظ عليه المسرحية واقعية كانت او رومانسية تاريخية او معاصرة . وهذا المستوى هو وحده الكفيل باعطاء المسرحية قوة الحياة وازخارها بعناصر البقاء والتجدد فليست العبرة في نظرنا بالناحية الشكلية من نثر او شعر بقدر ما هي ناحية موضوعية تتمثل فيها الطرافة والحيوية والصدق الواقعي . ولو كان الشعر هو الطريق لانجاح وتخليد المسرحيات لما فشلت ونسيت مسرحيات كثيرة عرفها نظارة القرن السابع والثامن عشر وهو العهد الذهبي للشعر . صحيح ان للشعر ذخيرته من الخيال والعاطفة وجمال الصورة وشفافية اللغة ولكن هذا ليس كل شيء لضمان الخلود فان للنثر ايضا جاذبيته وقربه من الذهن وامكانياته التعبيرية التي لا تتوافر للشعر مهما كان واقعيا .

ولعل الذي اغرى هؤلاء النقاد بمتابعة هجماتهم على المسرحية النثرية الواقعية انهم وجدوا الشعر اكثر تناسقا مع جلال النماذج البطولية الباقية وانهم وجدوا هؤلاء الابطال (النماذج) قد ظلوا محل اعجاب وتقدير من الاجيال الصاعدة متخذين من ابطال شكسبير وكورني وراسين وغيرهم حجة على خلود المسرحية الشعرية .

والحق اني لا أريد ان استمر في مناقشة هذه المشكلة الا بالقدر الذي يساعدني على تقديم البطل في المسرحية الجزائرية وكيف نظر كتابها الى مشكلة الشعر والنثر هذه وبأي الرأيين انتفعوا .. ولعل اول ظاهرة تلفت نظرنا اننا لا نجد سوى مسرحية واحدة شعرية تاريخية وهي مسرحية (بلال) للشاعر محمد العيد ..

وموضوع الرواية معروف تقريبا اذ تدور حوادثها في الحجاز على عهد الرسالة وعقدتها هي الاستماتة في سبيل العقيدة والبطل فيها ظل مثالا للايمان القوي والصبر الطويل حتى انتصر في النهاية ... وهي تحمل كثيرا من بذور المأساة في لفتها وحوادثها وهدفها وقد اعتقد محمد العيد ان بطله يؤدي بذلك عملا قوميا هادفا فان بلال قاوم جميع المغريات ورضى بالعذاب والاهانة في سبيل عقيدته حتى النصر في وقت كانت ــ الجزائر كلها تقاوم نفس المغريات من اندماج ومساواة بفرنسا وقد استعذبت الالم في سبيل المحافظة على شخصيتها القومية حتى انتصرت هي الاخرى في النهاية .

ومن قول بلال يتحسر ويتمنى وهو يعاني الآم القيد والرق :

آه من الرق آه قد ضقت بالرق ذرعا
لو انني كنت حرا صدعت بالدين صدعا
كيف الخلاص فاني وقعت في شق افعى ؟!

وفي سنة ١٩٥٠ اخرج احمد توفيق المدني مسرحية (حنبعل) التاريخية النثرية . وحنبعل هذا قائد وطني افريقي ثار على الاستعمار الروماني وانتصر عليه وطارده حتى مدينة روما ثم اعاد الرومان الهجوم فلم ير حنبعل بدا من الصلح تحت ضغط رجال السياسة من حاشيته وخيانة بعض افرادها وقد تولى حنبعل سلطة البلاد ولما اشتد امره واخذ يعمل على تقويض ملك الرومان من جديد تحرشوا به وارادوا له السوء فسافر الى الشام وهناك اشترك مع اليونان في استرداد اثينا التي كان الرومان قد استولوا عليها ثم انتقل تحت ضغط الظروف السياسية الى مملكة بثينا اليونانية على بحر مرمرة وهناك اخذ يعمل من جديد ضد روما بنشاط كبير ارعب قنصلها العام في تلك المملكة وجعله يطلب من ملك البلاد الضعيف تسليم حنبعل باعتباره احد الرعايا الخارجين على روما وعندما علم حنبعل بعزم الملك على تسليمه شرب السم وانهى حياته بشرف .

ولعلنا نرى من خلال هذا التلخيص الموجز ان المسرحية تكان تكون مأساة (تراجيديا) في كل شيء كما عرفها القرن السابع والثامن عشر وكما عرفها الاغريق من قبل . فالبطل ممتاز مؤيد بكل خصائص القوة والباس والجرأة والوطنية وهو محاط بالاعداء من كل جانب في الداخل والخارج وعليه ان يناضل ليتخلص من الجميع وينتصر ولكن كيف ؟ ان الظروف العديدة تتدخل لتطوح بالبطل الى الشرق وليجد الاعداء هناك ايضا . ولو عمد توفيق المدني الى تغيير بسيط في الحوادث ولم يلتزم الواقع التاريخي ولو هيأ الظروف لانتصار البطل في النهاية كما فعل كورني في (السيد) لكانت حنبعل مأساة عنيفة تعود بنا الى ما قبل زمننا الحاضر بمسافات بعيدة . ان الكاتب لم يراع الجمهور وشدة اعجابهم بالبطل المناضل وهو يسقيه السم ليختم به صفحة حياته الرائعة ولو احس باحساس الجمهور بدل هذا الاحساس المرهف بالتاريخ لاعاد الينا البطل حنبعل وفي يمينه رأس عدوه (شيبيو) وعلى جبينه طلعة النصر .

ولا يفوتني ان اقول ان اسلوب توفيق المدني الخطابي المفعم بالعواطف والمبالغات قد قرب لغة المسرحية من لغة الشعر تلك اللغة المحببة لدى

الهارب

ذكريات الماضي : ينابيع شوق
تتردى مجنونة في شعوري

راقصات ، أشباح حب ، تلوّى
في ثنايا الايام ، بين القبور

في وجوم ، رهيبة الهمس ، غيري
سائلات عن اللقاء الاخير

عن ورود اذويتها ، عن دموع
جففتها وانكرتها يدايا

عن وعود عن نشوة الالم الاول
عن قبلة الصبا عن منايا

عن شبابي المضاع ، الف سؤال
سبكتها كف السلو خطايا

ارقصي يا اطياف حب لسار
حائر كده سراب الحياة

عاشق الوهم ثائر الفكر مدفو
ع بسرب من الشياطين عات

رقصة الموت عجّلي فهو صنو ا
موت لا يرتجي بريق الآتي

ارقصي حوله ووارى عليه
ورقات يجن فيها الحنين

وادفني هاربا تطارده ذكرى ،
وخوف من موعد لا يحين

وتوارى عنه بعيدا الى حيث
تئن الشكوى وتبكي العيون

المانيا الغربية — « نزار الملائكة »

التراجيديين . وقد مثلت المسرحية سنة ١٩٤٨ ونشرت كما قلنا في ١٩٥٠ وهذا التاريخ يعتبر نقطة التجميع او فترة الهدوء الذي يسبق العاصفة لا في الجزائر فحسب بل في المغرب العربي كله ولذلك لم تكد تمر سنتان بعد ذلك حتى انقلب ذلك التجمع الى مشاعل ترفع في كل مكان وانقلب ذلك الهدوء الى عاصفة جامحة تنادي بالتحرر والتخلص من الاعداء وهي ما تزال في عنفوانها منذ ذلك التاريخ حتى الان . وقد كانت (حنبعل) ذات هدف معين سياسي تحرري ولذلك اهداها توفيق المدني (للشباب) المغربي حامل راية الكفاح في سبيل الحرية وشرف الوطن) ويقول على لسان حنبعل :« ان من اعتبر رجال الشعب عبيدا صيرهم لا يفكرون الا في الانتقام . ان عشنا فالوطن لنا جميعا وان متنا فالوطن لابنائنا من بعدنا الى الابد » وينطقه بهذه الجملة « ان العدو عدو دائما » وبالعبارة المشهورة « لقد ولدتنا امهاتنا احرارا » .

وتاتي بعد ذلك مسرحية (الحاجز الاخير) او الباب الاخير لمصطفى الاشرف فتحمل سمات جديدة للواقع وللكفاح معا . انها تصور الشعب الجزائري وقد تخلص من حيرته وبدا يتحسس طريقه الشاق الذي يؤمن بانه لن يجتازه بسهولة وهي تعطي الخيط لبداية المعركة الفاصلة او المأساة التي تتم فصولها بعد كما يقول كاتبها تلك المأساة التي نعيشها منذ حملنا السلاح بقيادة الامير عبد القادر الى النهاية او الى (الفد) كما يريد الكاتب ان يقول .

وحوادث هذه المسرحية تجري في شهر ديسمبر ١٩٥٤ (بعد الثورة بشهر واحد) وهي لحظة الانطلاق الاولى بالنسبة الى شعب الجزائر

.ولم يرد الكاتب ان يجعل للمسرحية بطلا معينا معروفا بالإسم والوصف وكذلك لم يرد ان يجعل لها عقدة واحدة خاصة تدور حولها الفكرة وتتجمع ولذلك عدد الاشخاص ونوعهم وغاير في المكان وحاول ان يعطي صورة كاملة للشعور العام عند الثورة وقد يكون البطل في الحقيقة هو الشعب الذي اعلن الثورة واذن فليست مسرحية شخص من الاشخاص او موقف من المواقف لان البطل فيها ليس هو فلانا او فلانة في بيئة او موقف ما وانما بطلها هو الشعب نفسه او الفكرة نفسها ان صح التعبير .

ففي الفصل الاول يعرض الكاتب جمعا من النسوة تجمعن امام باب احد سجون الجزائر يحملن سلالا بالطعام الى ذويهم وتدور بينهم مناقشات مختلفة فتقول احداهن (انانام ابنائنا وازواجنا. ان هذا الباب يفصل بيننا لكن القدر يصلنا . السجن واحد هنا وهناك) وتقول اخرى اننا نساء مسكينات وحيدات لكننا سنعرف كيف نقوم بكل الاعباء من اليوم ازاء الابواب التي تنغلق او التي لا تنفرج الا لتغلق . سنكون مفاتيح الخلاص الخالدة).

وفى هذا الفصل لا نستطيع ان نتبين ملامح بطل بعينه . اننا فقط ازاء فكرة تعرضها احدى اولئك النسوة في قولها (كلنا ـ رجالا ونساء ـ على هامش الحياة والعالم بفعاله وفي سيره نحو اهدافه حامل علينا نحن المكبلي الايدي) ولعل الاشرف اراد ان يعطي كذلك صورة للمراة الجزائرية ودورها في المفهوم الثوري الجديد .

وفي الفصل الثاني يعرض امامنا نفس الفكرة السابقة في ثوب آخر..

ـ ـ التتمة على الصفحة ٥٧ ـ

البطولة في الادب الجزائري

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٣٧ ـ

اننا نرى سجنا عاريا وبلاطا خشنا عليه خمسة رجال مستندين الى الحائط ومع هؤلاء طالب مثقف قوي العقيدة قد عكس الكاتب عليه كثيرا من الاضواء وركز حوله كثيرا من الاهتمام لانه هو الممثل للفكرة المعروضة فكرة البعث والاصرار الجديدة . فهذا الطالب يقول لزميله السجين وهو يقص ما جرى له من التعذيب والمعاملة السيئة (اننا جميعا كائنات ضعيفة ولكن عزيمة الانسان ابعد من ذلك اذا كان الخير وازعها) ويقول في موضع آخر يبعث الروح ويوقظ الاصرار الكامن في نفس السجين (ألست رجلا كالاخرين في هذه البلاد التي نصف ساكنيها شباب) وفي موضع اخر يقول (اننا لا نطالب احدا بأن يكون بطلا او شهيدا . ان المحبين الى قلوبنا هم اولئك الذين يضطربون بيننا بلا كلفة ويأتون من الاعمال ما يكون مثلا يمكن احتذاؤه دائما . حقا اننا في حاجة الى رجال عاديين لم يبلغوا حد الامتياز عن سواهم لنؤمن بانفسنا .) وهذا هو البطل كما اشرت اليه غير مرة ، وكما فهمته هذه الفترة الدقيقة من تاريخ الجزائر . انه ذلك الذي يضطرب بيننا بلا كلفة ويأتي من الاعمال ما يمكن احتذاؤه دائما ليجعلنا نرى انفسنا ونؤمن بها . وهذا هو الانسان الذي يقدمه لنا مرزوق في الفصل الثالث حيث نرى حليمه ـ زوج مرزوق احد المجاهدين ـ جالسة تهدهد طفلها في المهد في كوخ حقير ثم تدخل عليها جارتها مريم حاملة اليها زادا من الطعام ويدور نقاش بين السيدتين حول هذه الحرب ومداها واهدافها ونعرف مهمة مرزوق من هذه المقارنة التي تعقدها مريم بين زوجها وزوج جارتها اذ تقول : لقد اوقفوه وسينسونه وراء الابواب الحديدية بنفس السهولة التي انتبهوا بها الى وجوده . اما مرزوق فهو اليوم يكسب معركة من نوع اخر، حرية من نوع اخر تموزنا نحن .)

وعند انصراف الجارة مريم يدخل مرزوق الزوج الثائر ليرى طفله ويطمئن على زوجه اثر معركة جرت قرب المكان. ونسمع هنا مرزوق يحدثنا عن الماضي الحزبي الذي انتهى بالفشل فيقول (وبفضل الاكاذيب السياسية كان الداء يستفحل يوما فيوما حتى الفينا انفسنا بمعزل عن الشعب) ويصف درجة الحقد واليأس التي اجتاحت البلاد في تلك الفترة فيقول عن الاستعمار (ان هذا الوحش الطليق يفترس منذ قرن اخيارنا واكثرنا براءة) ويطلعنا الكاتب عن شعور المرأة بالذات في هذه المأساة على لسان حليمه وذلك اذ تقول في مناقشة مع زوجها (نحن الامهات نمشي قدما وابناؤنا ينبتون كالشجرات دائما الى اعلى) .

وتتضح الفكرة التي قامت عليها المسرحية وتطل من خلف الاشارات الفنية في روعة وانتصابة وذلك حين يقول الكاتب على لسان مرزوق (ان كفاحنا الحقيقي ليس كفاحا مسلحا فحسب بل انه يمتلك النفوس ايضا انه كفاح محجب وعميق كالمستقبل .)

ان مسرحية (الحاجز الاخير) نذير بالعاصفة التي تكتسح ذلك السد وتقوضه وهي في الوقت نفسه بداية طريق جديد وقد اوضحت الثورة معالمه وحددت اهدافه وهي الان تسير الى نهايته بخطى اشد حماسة واوسع مدى من اية ثورة اخرى في العالم .

وهناك مسرحية اخرى ذات اربعة فصول كتبها احمد ذياب بطلها هو الكاتب نفسه في طفولته وشبابه وهي مسرحية اجتماعية هادفة ايضا والبطل فيها يحمل بشدة على العادات والتقاليد السائدة في الاسر الجزائرية وطريقتها في معاملة الربيب، ويبدو ان المؤلف عانى من زوج ابيه ما يعانيه امثاله في تلك البيئة ويظهر انها كانت قاسية عليه تتمتع بقلب صخري لا يرحم وقد سمى ذياب مسرحيته (امرأة الاب) واخرجها سنة ١٩٥٣ .

والحق ان هذه المشكلة يعاني منها كثير من الاطفال عندنا اولئك الذين حرمهم الحظ عطف الامهات وحنانهن بالموت او بالطلاق ولاسيما في بيئة قليلة الثقافة كالجزائر اذ ليس هناك مشاعر انسانية حساسة بقيمة هذا الصنف من الاطفال ولا اصول للتربية وبين الربيب والربيبة وقد تصرف البطل مع امرأة ابيه كما يتصرف سائر الناس في مثل ذلك الجو القاسي فكان البطل واحدا من الناس ولم يكن مثلا لاي منهم وكان في تصرفه يترجم عن شعور اجتماعي سائد. غاية ما في الامر انه اوحى الى الناس بطريق غير مباشر ان ما يفعله هو الطريقة المثلى وانها جديرة بالاقتداء ولعل هذه المسرحية كانت تكون انجح واعمق لو تغلب عليها الطابع الكوميدي.

ونخلص من كل ما سبق الى ان هؤلاء الكتاب الاربعة قد اقاموا مسرحياتهم على فكرة الايمان في بلال والمجد والشرف في حنبعل والحرية في الحاجز الاخير والاخلاق في امرأة الاب وكان البطل في كل منها ـ سواء كان يمثل شخصا او فكرة قد تصرف حسب ارادة الكاتب لا كما يقتضيه الواقع فقد انتصر بلال وكان من الممكن ان ينتصر الضعف الانساني وسقط حنبعل وكان من الممكن ان يعود منتصرا وتصلبت ارادة الجزائر وكان من الممكن ان ينتصر السلاح الحديث وتصرف بطل امرأة الاب وكان ممكنا جدا ان يخضع لمشيئة الظروف .

٤ ـ في الادب الشعبي

كان بودي ان اتحدث هنا عن البطولة في الادب الشعبي هذا اللون الذي احتفى به الجزائريون ايما احتفاء وجعلوه حاجة لا غنى عنها في اسمارهم وافراحهم ومآتمهم ، في جدهم ولهوهم وفي خرافاتهم وايمانهم وهو اللون الوحيد الذي ابقت عليه الايام بالنسبة اليهم . لقد مثل الادب حياة الشعب الجزائري على اختلاف درجاتها واتجاهاتها بؤسا وشقاء نعيما وراحة فلم يخل مجلس سمر او ندوة فرح او جلسة ماتم من طرائف هذا الادب وغرائبه وكان ابطاله من ابى زيد الهلالي والجازية وبوسعيدة والزناتي خليفه وغيرهم ممن تزخر بهم اساطير الشعب ـ شعرا ونثرا وزجلا ومثلا. وكان اولئك الابطال مثلا للاقتداء او محلا للاعجاب او مثارا للنكتة والعبرة . وهو على اختلاف قائليه ومغنيه من عباسة الى بوقطان صورة لهذا الشعب الذي بقي مرتبطا بتراثه الشرقي وروحه الشرقية مدى العصور رغم شدة التيارات التي تحاول تجريده منهما. قلت لقد كان بودي ان افعل ذلك ولكني والحق اقول غير مستعد له في الوقت الحاضر لقلة المراجع بسبب ما بيننا وبين الجزائر اليوم من حوائل وعسى ان تتاح لي فرصة دراسة هذا الادب الفني بشتى انواع التعبير يوما ما . اما الان فتكفيني هذه الاشارة .

٥ ـ في الشعر

ان الشعر احق فنون التعبير بتمجيد البطولة وتخليد الابطال لانه يجمع الى الاداء المجرد جموح الخيال وعمقه وقوة العاطفة وحرارتها وشمول النظرة ونفاذها ولذلك خلدت به بعض الآثار الكبيرة مما حمل بعضهم على القول بان الواقعية قد تدلت الى الهوة حين فضلت النثر على الشعر ولكن الذي يهمنا الآن هو كيف صور الشعر الجزائري البطل ؟ هل نظر

اليه نظرة اسطورية خارقة كما كان يراه القدماء وبعض المحدثين ؟ وهل استفاد من تطور الزمن والاحداث فجعل البطل وليد هذا الزمن وتلك الاحداث ؟ وماذا فعل ازاء توارى الشخصيات في الجزائر وظهور المباديء والافكار بدلا عنها ؟ كل هذه اسئلة تقتضي منا اجابة موضوعية يؤيدها الواقع والبراهين .

واول ما نلاحظه على هذا الشعر انه تدرج في نظرته الى البطولة فقد بدأ ككل العواطف الاخرى بتمجيد الاشخاص الذين يصح ان نسميهم (اصنام الاحلام) وانتهى في آخر الامر الى نوع آخر من تمجيد البطولة في صورة اخرى ليست للاشخاص ولكنها للمباديء وهذه هي أهم مرحلة يجب ان يقف عندها الشعر طويلا ويستمد منها الوقود لنفسه وللشعب الذي ينطق بلسانه ويرسم وجدانه ونظراته في الحياة . ان الاشخاص مهما كانوا غير عاديين ومهما عملوا وشادوا ومهما حاربوا وانتصروا ليسوا الا ـ اشخاصا (اصناما) وقد انتهينا وانتهى الناس معنا من عبادة الاصنام وتغيرت نظرتنا ونظرتهم اليها .. وهذا هو الذي شجعنا على الاستمرار في الكفر بها واحتقارها الى الابد .. وما دام الاشخاص كذلك فهم فانون يترصدهم الموت الحسي والمعنوي في كل آن فهم يموتون حسيا حين يتوارون عن الانظار بذواتهم الفارغة وهيبتهم المصطنعة وتزول من اذهاننا واسماعنا حركاتهم وصراخهم ونظراتهم الحادة اما الموت ـ المعنوي فحين يبتعدون شيئا فشيئا عن خيالنا ويكشف النسيان غباره على ذكراهم ويبتلعهم الزمن في اغواره .

وثمة فرق اخر بين تمجيد الاشخاص والمباديء كما نظر اليه الشعر الجزائري ذلك ان الشخص (الصنم) او فلنقل البطل قد يكون الها كما اعتبره قدماء الاغريق وقد يكون طاغية او رسولا او مصلحا او خرافة كما نظر اليه الرومان والمسيحية والاسلام . والشعر امام هذا البطل المصنوع مرة من نور واخرى من نار وثالثة من طين ورابعة من خشب .. هذا الصنم او البطل على هذه القواعد المختلفة لا يخلو الشعر تبعا لذلك من ان يكون شعرا من نور اذا حاول ان يرتفع الى مصاف الآلهة والملائكة وما ابعد الانسانية في واقعها عن هذه الانوار المزيفة واما ان يكون شعرا من نار اذا حاول الاقتراب من جهنم الى تعج بضحايا الطغاة واما ان يكون شعرا من طين او خشب اذا التصق بالارض وهو يعتقد ان منها فقط يستمد الناس الانهار والحقول والفداء .

ولقد سار الناس في القديم على هذا السراط الضيق الذي ينتهي الى تمجيد النور والنار والطين والخشب والخرافة وضج منهم فريق من هذا التزييف لارادة الانسان وطبيعته وطالبوا في القليل ان يستمد الشعر بلاغته ونصاعته وتاثيره من الانسان نفسه كما هو وفي الواقع المادي المختلط لا كما تطير به اجنحة الشعراء وكان معنى ذلك ان يلتفت الشعر الى المباديء الخالدة ، الى الجذوة التي تلتهب دائما مهما اشتدت العواصف وتغير الزمان .

وقد كانوا وما زالوا يقولون ان اولئك الاشخاص (الاصنام) ليسوا في الحقيقة الا رموزا لاشياء خالدة وان الشعر بتمجيده لهم وتسبيحه بحمدهم انما يمجد ذلك (الشيء) الذي لا يموت بعد فقدانهم وهذه في الواقع لعبة لطيفة ولكنها ليست نزيهة على كل حال لان الصورة ـ الجميلة لا بد ان تفقد جمالها اذا شوهتها يد الحياة بالاسفلت والقطران.

وعلى كل فقد بدأ الشعر الجزائري بتمجيد الاشخاص متجاوبا في ذلك مع ما حوله من اصداء عربية وسار على هذه الطريقة حقبة من الزمن فسجل بطولاتهم وتتبع سيرهم واخبارهم وفاخر باعمالهم ورفعهم في بعض الاحيان الى مراتب القديسين والانبياء والخرافيين وكان في اول امره قلما يلتفت الى الواقع يعدل به من غلوه ويربط بين نورهم الباهر وطينة البشر السوداء كان مندفعا تحت رغبة جنونية في المبالغة والتعالي كي يجعل هؤلاء الاشخاص كأنهم من عالم آخر غير عالمنا جاؤوا لمساعدتنا وانقاذنا مما نحن فيه من هوان وتراب وليعرضوا في الوقت نفسه ما لديهم من اشياح وسحر وقدرات خاصة على التغلب والسيطرة والتخلص من المآزق الحرجة .

ومن عجب ان هؤلاء الاشخاص (الاصنام) ما زالوا يزورونا آنا بعد آن فيحتفي الشعر بهم ابلغ احتفاء وينسى بالرغم منه انهم قد يكونون (لا شيء) في عالمنا الحاضر والمستقبل على السواء ويقيننا ان الذي حمل الشعر على القول ما فيهم من جاذبية مؤقتة واغراء مصنوع .

ومما جاء في الشعر الجزائري من هذا الضرب التقليدي فخر الامير عبد القادر وبعض مراثي محمد العيد وقصيدته (ملك بني عرشا) و (حشاد) للباتني و (خطب الجزائر) لابي يقظان وغير ذلك من مناسبات شخصية يترفع عنها الشعر الصحيح والاخلاق الكريمة .

فهذا الامير عبد القادر يقول في احدى قصائده مفتخرا :

فكم من مفازات يقل بها القطا ... قطعت بها والذئب من هولها عوى
فان شئت علما تلقني خير عالم ... وفي الروع اخباري غدت توهن القوى
وكم هامة ذاك النهار قددتها ... بحد حسامي والقنا طعنه شوى

ويقول مفتخرا بنسبه وبطولته :

لنا في كل مكرمة مجال ... ومن فوق السحاب لنا رجال
لنا الفخر العميم بكل عصر ... ومصر ، هل بهذا ما يقال ؟
ورثنا سؤددا للعرب يبقى ... وما تبقى السماء ولا الجبال
فبالجد القديم علت قريش ... ومنا فوق ذا طابت فعال
ومنا لم يزل في كل عصر ... رجال للرجال هم الرجال

ولعل الامير كان اصدق الشعراء لانه ـ في الواقع ـ كان فارسا بطلا خاض غمرات الحرب فعلا وثبت عنه انه كان مثالا للمحارب الشجاع المؤمن بشخصيته وشعبه .

ويقول احمد الباتني من قصيدته (مصرع حشاد)

مادت الارض للفجيعة وارتاعت شداد القلوب والاطواد
قائد جدد الحياة وانمى في مفاني البلاد كل مراد
فبكاه الشمال وهو حزين وتناعته صادحات الوادي
شقت الجيب كل ذات حجاب وسوار على فقيد الضاد

ولكن الشعر الجزائري قد نظر الى البطولة من زوايا اخرى حديثة ولم يقصرها على تلك الشخصيات الباهتة التي تذهب (نضارتها) بذهاب اصحابها فقد تطرق الى عدة موضوعات وعدة ـ نظرات في الحياة وجد منها ان البطولة ليست عملا انسانيا فحسب وانها ليست تلك المبالغات السخيفة التي ترفع البطل في نظر مادحه او رائيه الى درجة الآلهة والملائكة والمعصومين ولكن البطولة كما جاءت في الشعر الجزائري الواقعي قد تكون في المدينة الصامدة والمدرسة المثقفة وقد تكون في جبل عاصر الزمن والاحداث وهو شامخ متكبر وقد تكون في اولئك المصلحين الصامتين العاملين لخير الشعب وصالح الوطن دون اضواء او اعلانات كما انها قد تكون في تلك المجموعة الشعبية المندفعة لتحقيق الصالح العام وفي تلك المباديء العقيدية التي تسمو بالانسان كالدين والوطنية والحرية والحياة الكريمة .

ولا نحب الآن ان ناتي على كل موضوعات الشعر الجزائري التي اشاد

فيها بتلك البطولات الخالية من الاسماء اللامعة والتهويلات التي تثير الضحك لا الاعجاب وتبعث على السخرية والكفر لا الاحترام والتقديس اذ ان المجال هنا لا يسمح بالاستشهاد لكل فكرة وحسبنا ان نذكر بعض الشواهد ليقف القاريء على مدى تطور الشعر من ناحية وتطور فكرة البطولة من ناحية اخرى في شعب كفر بالاشخاص وآمن بالمباديءالخالدة.

وقبل ان نذكر تلك الشواهد لا بد من توضيح نقطة هامة من تاريخ الجزائر القومي وهذه النقطة يجب ان يقف عندها كل دارس او مهتم بهذا التاريخ.لقد اتى على الجزائر وقت كانت تمجد فيهبعض الشخصياتورفع من قيمتهم الى سماوات ليسوا اهلا لها لولا اكتاف الشعب وسواعده وكان ذلك ابان ظهور الحزبية ثم استمر مدة تقرب من نصف قرن كلها تطاحن على الزعامة وصراع من اجل الظفر بكرسي او لقب من الالقاب. وقد خدع الشعب زمنا فكان يتناحر وينقسم على نفسه ويضرب بعضه بعضا انتصارا لفلان على فلان ولكن هذه الحال لم تكن لتستمر زمنا اطول من ذلك لاسباب اهمها افلاس الحزبية وظهور طليعة من الجيل الواعي وتطور الشعب وظهور الاشخاص او الممثلين على حقيقتهم امام الشعب بعد ان خلعوا لباس التمثيل وكان هذا كله مقدمة ضرورية لتهيئة الاذهان ولتوجيه الرأي العام نحو الثورة التحريرية الكبرى التي اعلنت في مطلع نوفمبر ١٩٥٤ .

وكان من حسن حظ الشعر كما قلت في غير مناسبة انه لم يكن شعرا حزبيا حتى في اشد عهود الحزبية ازدهارا بل انه طالما حمل عليها ونادى بالتخلص منها بتوحيد الصف والعودة الى الشعب ولم يستطع اي حزب ان يستميل شاعرا قويا ضعيفا الى صفه فبقي الشعر بحمد الله بعيدا عن السياسة بمفهومها الحزبي ولم يدخل معركة المهاترات والسباب التي كان ينظمها الرعاع بوحي من جهة من الجهات وبذلك سار الشعر في ركاب الاصلاح وحمل على الفساد والطرقيه والاستعمار والفرقة والرجعية واشاد بالعاملين وخططهم في التنفيذ ومؤسساتهم في البناء فكان حقا صورة صادقة معبرة عن كفاح الجزائر العملي منذ مطلع القرن العشرين حتى اليوم .

اما الشواهد التي وعدنا بها فهذا بعضها يقول محمد العيد في الحرية في وقت كان التعبير المباشر غير ممكن في مثل هذه الموضوعات.الحساسة بالنسبة للاستعمار .

ولقد شجت قلبي وهاجت عبرتي ... ورقاء في شرف بعيد عال
حمراء حرر جيدها من طوقها ... في الورق فهي عديمة الامثال
هتفت فقمت مجاوبا لهتافها ... ولحنت عن قصد فقلت تعالى
شرقية في الطير او غربية ... ما دمت واصلة فلست ابالى

ويقول في المدرسة العربية التي قامتتناهض الاحتلال والاحتكار الثقافي وتبنى الجزائر العربية الشرقية المعتزة بقوميتها ولغتها :

نمت ونما النشء الصغير علىالهدى ... بها ووعى فيها من العلم ما وعى
وشبت فامست للشباب كقلعة ... محصنة فيها الشباب تمنعا

وفي الاطلس الاشم الذي قاوم الاستعمار الروماني والوندالي والتركي والفرنسي يقول احمد الباتني :

لكن اصلع في (الشمال) مجربا ... اودى الزمان بريشه المعطار
رفع العقيرة وانبرت اصداؤه ... ما للرؤوس الشوس من قهار
انا راس افريقا ورمز شمالها ... ملء الاثير يصيح في التاتار
اني انا العاتي اذا دبس الحمى ... واهين شبلي في الحمى او جاري

ويقول الشاعر احمد سحنون في الامام عبد الحميد بن باديس رائد الثقافة العربية والاصلاح :

باديس يا حب الجزا ... ئر يا حليف غرامها
ومعيد غاية مجدها ... والبيض من ايامها
حققت من آمالها ... وشفيت من آلامها
قد كنت نفسا عافت البد ... نيا وجمع حطامها
هامت بحب بلادها ... وقضت حقوق هيامها

ويقول الشاعر مفدى زكريا في (دار الطلبة) احدى المؤسسات الوطنية:

يا دار انت على التقوى مؤسسة ... مبناك بالطهر مرصوص ومشدود
يا دار حملت آمال البلاد ففي ... أحشائك اليوم اشبال صناديد
ما بين جدرانها تحيا الجزائر لا ... من بين جدرانها تتلى التهاجيد

واظن اني لست في حاجة الى القول بانالشعر الجزائري في الآونة الاخيرة (عهد الثورة) قد وجد البطولة الحقة ممثلة في الثورة بما فيها من ايمان ووطنية وامل وابطال . ان الثورة قد الهمت الشعر كثيرا من الموضوعات التي لم يكن يخوض فيها من قبل والتي خاضها ولكن في خوف وحشمة ولقد حررته من قيود الرمز والاشارة وقيود المهادنة والاصلاح الموقر . تلك القيود التي ظل يتخبط فيها اكثر من نصف قرن وقد وجد اليوم في بطولة جميلة وابن صدوق وزهانة وآلاف المجاهدين والفدائيين والمجاهدات والفدائيات في قمة اوراس وغابات جرجرة وسهول وهران وجد من ذلك كله مادة غنية للقول الصريح والتعبير الحر عن البطولة والابطال .

ولعل من سبق الحوادث ان نشير هذه الاشارة الى الشعر في عهد الثورة اذ الواجب ان يترك ذلك الى ما بعد الاستقلال ليدرس دراسة خاصة يراعي فيها التطور الزمني وظروف الحرب التي عاشتها الجزائر في مدى خمس سنوات او تكاد . ان التاريخ الجزائري لابد ان يعاد فيه النظر وان يكتب من جديد على ضوء شخصية الجزائر المستقلة ذات الامتداد التاريخي والعلاقات الوطيدة في الماضي والحاضر بالشرقين العربي والاسلامي ولكن ما قلناه عن الشعر في عهد الثورة لا يعدو ان يكون اشارة الى دورة في تسجيل البطولات وتخليد الابطال الذين لا يحملون من علامات الشخصية البطولية تاجا او صولجانا ولكنهم يحملون خنجرا وبندقية وايمانا راسخا بالنصر والحرية .

ابو القاسم سعدالله

اهم المراجع التي اعتمدنا عليها في هذا البحث :

(١) حنبعل ـ ط الجزائر ... احمد توفيق المدنى
(٢) غادة ام القرى ـ ط تونس ... احمد رضا حوحو
(٣) امراة الاب ... احمد ذياب
(٤) نماذج بشرية ـ ط تونس ... احمد رضا حوحو
(٥) تصميمللشعر الجزائريالحديث ... ابراهيم الكيلاني
(٦) العناريس ... ابو القاسم سعدالله
(٧) ادباء من الجزائر ـ ط مصر ... ادريس الشرايبي
(٨) ديوان ابي اليقظان ـط الجزائر
(٩) نجمة ... كاتب ياسين
(١٠) البيت الكبير ... محمد ديب
(١١) ديوان محمد العيد ـ مخطوط
(١٢) بلال ـ مسرحية شعرية ... محمد العيد
(١٣) الباب الاخير ـ ترجمة مجلة الفكر ـ تونس ... مصطفى الاشرف
(١٤) سجل المؤتمر العام لجمعية العلماء ـ الجزائر ١٩٣٥
(١٥) مجموعة ١٩٤٨، ١٩٤٩، ١٩٥٠، ١٩٥٣، ١٩٥٤ ... من جريدة البصائر